The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 3, Bil. 1, May (2024)
ISSN: 2948-3778 e-ISSN: 2948-3913 https://ijisc.unishams.edu.my

هداية القرآن للإنسان في الإبداع المعرفي والبحث العلمي

د. شحاتة حافظ محمد الشيخ
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah (UniSHAMS)

المقدمة

لقد كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في نقل المسلمين نقلة علمية ومنهجية مذهلة في غضون سنوات معدودة، فالقرآن الكريم كما هو معلوم بالنسبة للمسلم مصدر للحقائق والمعارف لاسيما ما يتعلق منها بالغيب من إيمان بالله تعالى والملائكة والقدر والحياة الآخرة وما فيها من وقائع وأحداث فضلاً عن كونه مصدراً للأصول والأسس التي تنظم حياة المسلم، والقيم التي تقوم عليها حياة الناس أفراداً وجماعات.

وبعد تفصيل هذه الجوانب السالفة الذكر التي تمثل مصادر المعرفة القرآنية ووسائلها سينتقل البحث إلى بيان الأثر المباشر للقرآن الكريم في الإبداع المعرفي في شتى مجالات العلم والمعرفة وفي تكوين مناهج البحث العلمي لدى علماء المسلمين، والبحث سيقدم محاولة جادة في إماطة اللثام عن مدى استفادة العلماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم ومعارفهم من القرآن الكريم في صياغة مناهجهم العلمية، فصاغ علماء أصول الفقه منهجهم في استنباط الأحكام الشرعية على هدي من آيات القرآن الكريم، ووضع علماء الحديث منهجاً محكماً لتمحيص الأحاديث وشروط دقيقة لقبولها، وخط العلماء التجريبيون منهجهم في اكتشاف الحقائق العلمية التي أسست لعلم تجريبي استفادت منه البشرية حتى اليوم، فضلا عن علماء العقيدة الذين استندوا في مشروعية استخدام الدليل العقلي في التدليل على العقائد إلى آيات القرآن الكريم التي حثت على النظر والتفكر في آلاء الله وآياته.

إشكالية البحث وقضيته المحورية: قراءة منهجية جديدة للقرآن الكريم تبين هدايته في تشكيل العقل المسلم وإعداده للإبداع المعرفي وصياغة وتأسيس مناهج علمية سبق بها المسلمون الحضارات المعاصرة، والرد على شبهات المستشرقين في محاولاتهم فك الارتباط بين الطفرة العلمية الفائقة لعلماء المسلمين وبين القرآن الكريم، مما يستدعي الرد العلمي الموثق من آراء العلماء.

لذا اجتهدت في صياغة أسئلة هذه الإشكالية عبر المحددات الآتية:

1- حقيقة أن القرآن الكريم يحمل بين دفتيه آيات تدعو للنظر والتأمل والتوهج العقلي واستخدم أسلوب الحوار والاقناع والحجة والبرهان.

2- هل القرآن الكريم أسس لنظرية واضحة للمعرفة ولفت نظر العلماء والمفكرين والفلاسفة إلى القراءة العلمية للكون والحياة والإنسان؟

3- هل القرآن الكريم وضع في آياته أسس وقواعد للمناهج العلمية مثل المنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي والمنهج التجريبي وماهي الآيات الدالة على ذلك؟

4- حقيقة الشبهات التي زعمها المستشرقون لمحاولة فك الارتباط بين الطفرة العلمية الفائقة لعلماء المسلمين وبين القرآن الكريم. **أهداف البحث: البحث له أهداف عديدة يصعب حصرها نذكر منها الآتي:**

1- الكشف عن المعرفة والعلم من المنظور القرآني والوسائل التي ذكرها لتحقيق قراءة علمية لهذا الكون.
2- ضبط البوصلة العلمية في العالم الإسلامي بهدايات القرآن الكريم وأن يكون البحث العلمي طبقا لقول الله عز وجل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " سواء في الدراسات الإنسانية أو التجريبية.
3- الرد على الشبهات التي تبناها خصوم القرآن، وخاصة في مسألة الإبداع المعرفي والبحث العلمي.
4- معالجة أوجه القصور في الدراسات التي تناولت الرد على الشبهات في مسألة الإبداع المعرفي والبحث العمي، دون الغوص في الأسباب الحقيقية لتطور هذا الفكر وعدم رصد مراحل التطور التي مر بها.
5- إبراز دور خصوم الإسلام عامة والمغرضون منهم في القرآن خاصة، وذلك في تأصيل هذا الفكر تأصيلاً مزيفاً ونشره في العالم الإسلامي ومساعدته على التوسع إعلامياً وفكرياً.
6- تقديم توصيات ومقترحات للوقوف العلمي الموثق على كنوز القرآن الكريم في مسائل الإبداع المعرفي والبحث العلمي وكيفية الاستفادة من هذه الجوانب في وقتنا الحاضر.

الدراسات السابقة:

أحسب أن فكرة البحث جديدة لم تطرح من قبل في عمل أكاديمي ولم أجد إلا بعض الأفكار المتناثرة التي تشير من بعيد إلى مسألة الإبداع المعرفي والبحث العلمي التي هي عماد البحث، وهناك بعض الكتابات التي تناولت مسألة المعرفة بوجه عام دون تخصيص بحث معين لهذه المسألة، ومعلوم لكل الباحثين والمتخصصين أن الدراسات والكتابات عن القرآن الكريم أكثر من أن تحصى وهذا يعطيني مسوغ علمي مقبول أن أقدم بعض الأفكار الجديدة التي جاءت في صفحات البحث ولولا الخوف من الإطالة ومخالفة المسموح به في عدد الصفحات لأسهبت في الفكرة والعرض.

أما عن الأفكار الجديدة التي سيقدمها البحث فملخصها كالآتي:

1- فكرة الربط التاريخي بين تقدم المسلمين وبين نزول القرآن وفهمه وتدبر آياته والعمل به.
2- سأكون حريصا في ورقات البحث على كشف الآثار المترتبة على إيقاظ العقل العربي المسلم وغيره من خلال هدايات القرآن الكريم.
3- تقديم أفكار جديدة للاستفادة من هدايات القرآن الكريم في مجال المعرفة والبحث العلمي.

المنهج العلمي المستخدم: لقد راعيت عدم اقتصاري على منهج واحد ولكن عدة مناهج علمية متصلة في آن واحد نظراً لعمق الموضوع وأهمية الدراسة ومنها والتاريخي والمقارن والنقدي:

المنهج التاريخي: وذلك لرصد تطور الإبداع المعرفي والمنهجي لدى المسلمين بعد نزول الوحى بسنوات قليلة وكيف أنهم ملكوا ناصية معظم العلوم في فترة وجيزة، وحاولت كذلك استخدام المنهج التاريخي وذلك لتتبع بدايات الأفكار العلمية.

المنهج النقدي: وذلك لتمحيص ما سيعرض من نظريات وأفكار تعارض ارتباط الإبداع المعرفي والبحث العلمي الرصين بالقرآن الكريم، وكذلك استخدمت المنهج في دحض ادعاءات المستشرقين بأن الحضارة الإسلامية لم تضيف شيئا وأنها مستنسخة من الفكر

اليوناني

المنهج المقارن: وذلك حتى أتمكن من رصد نواحي الاتفاق والاختلاف والتطور في الدراسات والأفكار التي تناولت نظرية المعرفة في القرآن الكريم.

مضمون البحث:

خطة البحث: تتكون من: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها التعريف بالموضوع وبيان أهميته وأهدافه وإشكالية البحث.

المبحث الأول: المعرفة ومصادرها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الإبداع المعرفي في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أثر هدايات القرآن الكريم في تكوين مناهج البحث العلمي لدى علماء المسلمين.

الكلمات المفتاحية: المعرفة في القرآن – العقل في القرآن – الإبداع المعرفي في القرآن – مناهج البحث في القرآن

The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 3, Bil. 1, May (2024)
ISSN: 2948-3778 e-ISSN: 2948-3913 https://ijisc.unishams.edu.my

المبحث الأول

المعرفة ومصادرها في القرآن الكريم

خلق الله الكون أو عالم الشهادة كما عبر القرآن الكريم من أجل حياة البشر وأمد الإنسان بالمواد والوسائل والآليات التي تعينه على القيام بشؤون حياته وطرق عيشه، و طلب القرآن الكريم من الإنسان السعي في جنبات الكون لاستكشافه، واستمداد العلوم والمعارف منه، وفقاً لطرق معينة وأساليب محددة بينها القرآن الكريم، وتتمثل في الحواس من سمع وبصر، والتي تمد الإنسان بمعارف وعلوم مشاهدة، والعقل الذي يستنبط الانسان عن طريقه العديد من العلوم والمعارف. فضلاً عن ما زود به الوحي الإلهي الإنسان بمعلومات ومعارف عن الكون وما فيه، وبالنظر في القرآن الكريم نجد أنه حدد أطر المعرفة ووضع لها وسائلها كما سيتضح في السطور القادمة.

مفهوم المعرفة ومصادرها:

إذا تتبَّعنا طرحَ مصطلح "مصادر المعرفة" في الكثير من البُحُوث، نجد اختلافًا بل اضطرابًا في استعماله اللغوي، وتداخلاً مع مفاهيم أخرى؛ مما يُوقع في إشكالات فكرية للمُدقق، وتصورات خاطئة للمطالع، فتكسب تلك البحوث صبغة أدبية قصصية أكثر منها بحوثًا علمية؛ "نظرًا لعدم تحديد بعض الباحثين لمصطلحات دراساتِهم، فقد وقع بعضُهم فيما يعد خلطًا أدى إلى التباسٍ بين المصادر والميادين مثلاً... ومنهم من يَميل إلى الإجمال؛ فيجعل الله تعالى مصدر المعرفة والوحي أداة" [1] لذا كان لزاماً علينا تحرير المصطلح وتوضيحه..

مفهوم المعرفة: تجمع المصادر اللغوية على أن المعرفة ومشتقاتها ترتبط بالعلم، فمعرفة الشيء تدل على العلم به وإدراكه بحاسة من الحواس أو العقل، والعرفان يعني العلم [2]

ولكن هناك اختلاف بين الدارسين حول العلاقة بين المعرفة والعلم، فهناك من ذهب الى أن المعرفة أعم من العلم، وهناك من

---

[1] نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية: أحمد محمد حسين الدغشي، صادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار الفكر، ط2/ 2004م ص197.

[2] انظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، مجلد 10 ص:110-111، القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ت ٨١٧هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص:771.

ذهب إلى عكس ذلك، بينما يرى فريق ثالث بتطابقهما، فكلاً من المعرفة والعلم- كما يذهب من قال بترادفهما – يعني إدراك الشيء على ما هو عليه، أما من فرق بين العلم والمعرفة، فبنى ذلك على أن المعرفة مسبوقة بجهل، أو إدراك مسبوق بجهل وليس العلم كذلك، يقول الجرجاني: أنها(أي المعرفة)، إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم"، ولذلك يقال للحق

سبحانه وتعالى عالم، ولا يقال له عارف. وأيضاً أن المعرفة هي إدراك الجزئي، وأن العلم هو إدراك الكلي، وأن المعرفة تستعمل في الدلالة على التصورات، وأن العلم يستعمل في التصديقات، ولذلك نقول مثلاً: عرف الله، ولا نقول: علم الله، ونقول أيضاً: العارفون بالله، ولا يقال: العالمون بالله. فالعلم يقتضي الاحاطة بالمعلوم وإدراكه على ما هو عليه، والمعرفة تقتضي الخبرة بالشيء في ظاهره أو في أثر من آثاره أو في جزئية من جزئياته، ولذلك وصف الله ذاته بالعلم ولم يصفها بالمعرفة. [1]

هذا مع ملاحظة أن القرآن لم يستعمل لفظ المعرفة في الدلالة على العلم، وإنما استعمل الأفعال المشتقة مثل: عرف ويعرف ،وأطلقها على الخبرة المباشرة بالأشياء كما في قوله تعالى: (تَعْمَلُونَ) ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ النمل: ٩

مصادر المعرفة في القرآن الكريم:

إنَّ المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية في التصور القرآني هو الله تعالى، الذي علم الإنسان ما لم يعلم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ العلق: ٤ ـ ٥

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ البقرة: ٣١

.، وأنه تعالى وهب الإنسان وسائل المعرفة من السمع والبصر والفؤاد: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ النحل: ٧٨

ويتلقى الإنسان تلك المعارف الالهية عن طريق الوسائل التي منحها الله له(الحواس والعقل)،فيما يتعلق بالمعارف الكونية. أما مسائل الغيب فإنَّ الله زود بها الانسان عن طريق الوحي الإلهي ويتلقاها الإنسان بعقله.

[1] انظر: التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، صـ:238. للوقوف على تفصيل هذه الآراء انظر: نظرية المعرفة: أحمد الدغشي، مرجع سابق، صـ:70-92.

وبناءً على ذلك فإنَّ مصادر المعرفة في الإسلام هي: الوحي الإلهي المقروء والمتمثل في القرآن الكريم، والوحي الإلهي المشاهد والمتمثل في الكون.

ونحاول في السطور القادمة إيجاز مصادر المعرفة في القرآن الكريم:

مصادر المعرفة في النِّظام المعرفي القرآني مصدران متكاملان متآزران هما:

1 – **الوحي:** (الآيات المتلوة، وسنة الأنبياء، والرُّؤيا، والإلهام، والحدس).

2 – **الكون:** (الآيات المخلوقة، الآفاق، الأنفس، قصص الأولين، أخبار التاريخ والحاضر).

أولاً: الوحي الإلهي:

–الوحي:

لعل من المسلمات أنَّ الوحي الإلهي المتمثل في القرآن والسنة، هو المصدر الأساسي للمعرفة لاسيما فيما يتعلق بعالم الغيب، الذي لا سبيل إلى إدراك حقائقه عن طريق الحس، ولا معرفة تفاصيله عن طريق العقل، لأنَّ كلاً من الحس والعقل وسائل يهتدى بها إلى عالم الشهادة أو العالم المادي، ولا سبيل إلى إدراك ما وراء هذا الكون المشاهد أو عالم الغيب، عن طريقها. ومن ثم كان المصدر الوحيد لتلك الحقائق هو الوحي الإلهي الذي أهتم بتقرير قضايا العقيدة والأصول التي تبنى عليها، من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. والتي تضمنتها آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ البقرة: ٢٨٥

وحديث جبريل الذي سأل فيه النبي عن الاسلام والإيمان والإحسان، وجاء فيه عن الإيمان: " أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره".[1]

وقد فصل القرآن القول في تلك الأركان، وآثارها في حياة الإنسان فرداً وجماعة، كما اهتم بالآثار المترتبة على العقيدة وتمكنها في النفس: من ثقة بالله، وتوكل عليه ورضى بقضائه وقدره.. الخ. وعني بإقامة الأدلة والبراهين على تلك القضايا والأصول.

كما أنَّ الوحي هو الذي يوجه ويقوم حركة الإنسان في الأرض، ويحدد له إطار سلوكه وأخلاقه ويضبط فكره وتصوره، ويجيب على كثير من تساؤلاته الفطرية المشروعة حول الأبعاد الغيبية، ويحدد له مكانته في الوجود والغاية منها وما توجبه في مقام العبودية، كما يعرفه بحقوقه تجاه نفسه وغيره. وقرر ذلك كله من خلال ما تضمنه القرآن من أحكام وتشريعات.. كما تضمن

[1] صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م ، 1/ 37 ، ورواه أبو داوود في سننه، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، ورواه أبو نعيم في مستخرجه على صحيح مسلم، ورواه الإمام أحمد في المسند، ورواه الترمذي في السنن، ورواه النسائي في السنن، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن خزيمة في صحيحه، وابن أبي شيبة في المصنف....

الوحي الإلهي العديد من الآيات التي أخبرت عن الظواهر الكونية كالأرض وما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار، والسماء وما فيها من كواكب ونجوم ومجرات.

ثانياً: الكون:

أما المصدر الثاني للمعرفة الإنسانية فهو الكون: وقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الظواهر الكونية، في الأرض والسماء وما بينهما، كما سجل حركة الإنسان على هذه الأرض وتفاعله معها. وقد دعا القرآن الإنسان إلى السير في الأرض والسماوات،

والنظر في الأنفس والآفاق والكشف عن ما فيها من علوم ومعارف. وقد سعى القرآن الكريم من خلال تلك المعارف الكونية إلى أن تكون معرفة الإنسان بالكون برهاناً لإثبات العقائد الغيبية. فالعلاقة بين العالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة، علاقة تكامل وتعاضد لا علاقة تمانع وتدافع. والمعرفة الكونية تجيب على أسئلة مهمة للإنسان، تتعلق بعالم الشهادة وواقع الإنسان المعاش: مثل كيف يعيش الإنسان على هذه الأرض، وكيف يستفيد من مواردها؟ وكيف يحافظ على كيانه فيها؟

فالإنسان كعاقل كيما يؤمن بالله تعالى عُرض على عقله آيات مَتلُوَّة وآيات كونية، فكانا قسمين:

الأول: آمن بما فهمه من الوحي، حالَ ورود الخطاب الإلهي بما يُطابق فطرته، وتدبَّر آياتِه، فتبين له الحق بما فيه من حجج عقلية، واعتبر بما نبَّه عليه من موجودات في عالم الشهادة؛ ليقيسها على عالم الغيب، ثُمَّ عمم الأحكام، فقوة عقله جعلته يفهم الدليلَ، وأوجه الاستدلال، ويصل بما ظهر إلى فهم ما خفي، ويفقه دقائق الكلام، فحصل عنده إعجاز فكري؛ أي: إنَّ المعجزة خاطبت قدرته العقلية.

الثاني: احتاج زيادةً على الحجج العقليَّة إلى أمثلة مادية معاينة مشاهدة، ومعجزات محسوسة؛ لأنَّ عقله لا يقدر على القياس والتعميم، واستيعاب الخطاب والاعتبار، فكان لا بُدَّ أن يعاين الأدلة؛ ليقتنع بصدق الخطاب أولاً، ثم يؤمن، ثم يتبع ويلتزم.

فالوحي خطاب إلهي لقوانين العقل وبديهيَّاته المفطورة عليها، وعلومه النظرية لا تصادمه، فإن عجز عن فهم حجية الوحي، أحيل إلى مرحلة ما قبل البديهي وهي الإحساس، والثابت أنَّ العلم النظري أشرف من البديهي؛ لكون البديهي مشتركًا بين العقول، ولا فضل لأحد على الآخر فيه، بينما النظري تبرز فيه القدرات العقلية، من حدة ذكاء وقوة حافظة ودقة فهم، فكان خطاب الوحي للعلم النظري أرفع من خطاب الكون للعلم الضَّروري، فيكون المؤمن بالوحي بدايةً أعلى درجة (في قوة العقل) من المؤمن بالمعجزات الكونيَّة أولاً.

فالكون والوحي يُمثلان مصدرين أصليَّين للمعرفة، ثم يليهما مصادر تابعة هي ناتجة عنهما، مثل "التراكم المعرفي" إما الداخلي بالذاكرة، وإمَّا الخارجي (العلوم المدونة والأخبار المتناقلة).

[1]فالأول: يكون بالتذكُّر، والثاني: بالتلقين، إمَّا بالقراءة أو السماع، وأصلهما المصدر الأصلي.

والناظر في القرآن الكريم نظرة نافذة واعية يرى أن القرآن لم يلفت النظر لمصادر المعرفة وحسب بل عدد وسائل المعرفة مما فتح

---

[1] "مجلة إسلامِيَّة المعرفة: حول النظام المعرفي"، محمود الرشدان، المعهد العالي للفكر الإسلامي، واشنطن، العدد (10)، 1997، ص (39 – 40).

الطريق للعقل المسلم للانطلاق في آفاق الكون يسبر غوره فكان الإبداع المعرفي والعلمي في غضون سنوات معدودات تمكن المسلمون على كل نواحي العلم.

وسائل المعرفة في القرآن الكريم:

إذا نظرْنا في الفكر الإسلامي فسنجد أنَّ المعرفة تنفتح على مجالَين واسعَين، هما عالم الغيب وعالم الشهادة، عكس الفكْر الغربي

الَّذي يقتصر على الجانب المادّي من عالم الشهادة، وهو ما بيَّنه تعالى في قوله: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ الروم: ٧

فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئاً، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

إنَّ المنهج المعرفي في القرآن الكريم منهج إيماني يقوم على التسليم ببداهات الوحي وأحكامه في الوجود الدنيوي والأخروي، وفي أحكامه القضائية والكونية، وهو منهج عقلي يعتد بأحكام العقل كما أنه منهج واقعي لا يلغي الوجود الحسي من اعتباره في بناء معرفة يقينية وعلمية. فهو إذن منهج يجمع بين الوحي والعقل والقلب والحس: فالوحي المقروء والمشاهد، يمد الإنسان بالمعرفة، بينما العقل والحواس يقومان كل منهما بدوره في إدراك المعلومات، وفي صياغة المعرفة وتفهمها، والقلب هو وسيلة من وسائل الإدراك والمعرفة في الفكر الإسلامي، وهو من الأهمّيَّة بمكان حيثُ لا يمكن استبداله بالعقْل ولا بغيره، فعمل القلْب وفقًا لهذا يكون في الأمور الوجدانيَّة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوسائل ودروها في كسب المعرفة وادراك المعلومات.

أولاً الحواس: الحواس الخمس للإنسان، كما يقول ابن الاثير: هي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد ،وتقود إلى التعرف على: الطعم والشم، والبصر والسمع واللمس. وعرفت الحاسة بأنها القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية". وتعرف الحاسة بأنها :" قوة طبيعية في الجسم وبها يدرك الإنسان والحيوان الأشياء الخارجة عنه، وما يطرأ على جسمه من تغيرات" [1] فالحواس وسيلة من وسائل الإدراك المؤدية إلى اكتساب المعارف والعلوم، وقد اهتم بها القرآن الكريم، وعدها من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وامتن بها عليه، ودعا الناس إلى استعمالها لاكتساب العلم النافع في الدين والدنيا. فقد أمر الإنسان في أكثر من آية بالنظر إلى نفسه وظاهرة خلقه والمادة التي خلق منها، فقال تعالى:﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧﴾ الطارق: ٥ - ٧

[1] المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية صـ: 65

The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 3, Bil. 1, May (2024)
ISSN: 2948-3778 e-ISSN: 2948-3913 https://ijisc.unishams.edu.my

وإلى الكائنات والأشياء من حوله قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠

ورغم أن النظر هنا قد يراد به النظر العقلي، فإن النظر الحسي غير مستبعد أيضا، الأمر الذي يدل على أن النظر يراد به –كما قال الراغب الاصفهاني– تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية، يقال: نظرت فلم تنظر: أي لم تتأمل ولم تتروَّ [1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الله هو الذي زود الإنسان بوسائل المعرفة من سمع وبصر وفؤاد، ومن ثم ينبغي أن يشكر الله تعالى على هذه النعم التي زود بها: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ النحل: ٧٨

كما أخبر القرآن أن من أسباب إخفاق الإنسان في معرفة الحق الذي يوجب دخول النار، إهمال نعمة الحواس والعقل، وعدم استخدامها والاستفادة منها في مجال المعرفة والعلم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ الملك: ١٠

كما بين القرآن الكريم أن الإنسان مسؤول عن استخدام هذه الوسائل، ويترتب على ذلك الثواب إن استعملها في الخير، ويعاقب على استخدامه لها في الشر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ الإسراء: ٣

ثانياً: العقل: إن مفهوم العقل في القرآن يأخذ مناحي متعددة، مجملها تشير إلى أنه أداة العلم والمعرفة، والتمييز بين الأشياء، والحبس والحجر عن الوقوع في المهالك والمضار، وذميم القول والفعل لأن العاقل يعرف بعقله الضار من النافع والخير من الشر. [2]

إضافة إلى أن العقل قوة مدركة في الإنسان تميزه عن سواه من الكائنات، وتجعل منه مخلوقاً مسؤولاً عن أعماله، على أساس قدرته على الإدراك والتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والحسن والقبيح، وأن القرآن يطلق ألفاظ القلب والفؤاد أو اللب أو النهى على الأداة أو الآلة التي تقوم بوظيفة العقل أو الربط وإيجاد العلاقة بين الأسباب والنتائج ".

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، ص ١٢٧ «بصر»

[2] انظر: مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح: معجم مقاييس اللغة ابن فارس، أبو الحسين أحمد.، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة: 1399هـ 1979م) ج4، ص69.

إن الإنسان لا ينبغي أن يقف عند حدود ظاهر ما تؤدي إليه الحواس بل هو مطالب بأن يعرف حقائق الأشياء، ويتفكر في حقائق الآخرة قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ الروم: ٦ - ٧

أَيْ أَكْثَر النَّاس لَيْسَ لَهُمْ عِلْم إِلَّا بِالدُّنْيَا وَأَكْسَابهَا وَشُؤُونهَا وَمَا فِيهَا فَهُمْ حُذَّاق أَذْكِيَاء فِي تَحْصِيلهَا وَوُجُوه مَكَاسِبهَا وَهُمْ غَافِلُونَ فِي أُمُور الدِّين وَمَا يَنْفَعهُمْ فِي الدَّار الْآخِرَة كَأَنَّ أَحدهمْ مُغَفَّل لَا ذِهْن لَهُ وَلَا فِكْرَة. قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ: وَاَللَّه لَيَبْلُغ مِنْ أَحَدهمْ

بِدُنْيَاهُ أَنَّهُ يُقَلِّب الدِّرْهَم عَلَى ظُفُره فَيُخْبِرك بِوَزْنِهِ وَمَا يُحْسِن أَنْ يُصَلِّي . وَقَالَ اِبْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَى : " يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الْآخِرَة هُمْ غَافِلُونَ " يَعْنِي الْكُفَّار يَعْرِفُونَ عُمْرَان الدُّنْيَا وَهُمْ فِي أَمْر الدِّين جُهَّال. [1]

ويكاد يكون من المسلم به أنه لم يهتم كتاب ديني بقضية التفكير كما اهتم بها القرآن الكريم ، وإن اهتمام القرآن بمخاطبة ملكات التفكير والتعقل عند الإنسان بلغ درجة جعلت بعض الدارسين يعتبرون التفكير فريضة من فرائض الإسلام لا يقل شأناً عن فرائض العبادات والشعائر الدينية. فيقول العقاد مثلاً:" وليس التفكير في الإسلام عوضاً من النص أو ما يشبه النص في الأحكام، بل هو فريضة منصوص عليها، مطلوبة لذاتها، ولما يتوقف عليها من فهم الفرائض الأخرى، وكلها محظور على المسلم أن يهمله وهو قادر على النهوض بتكاليفه غير مضطر إلى تركه، فإن تركه لغير ضرورة فهو مقصر محاسب على التقصير." [2]

ثالثاً: القلب: لا يقصد بالقلب هنا ذلك العضو الحيّ الذي يقع في الجانب الأيسر من القفص الصَّدري، والَّذي يقوم بضخّ الدَّم في جسم الإنسان، وإنَّما أقصد تلك اللَّطيفة الربَّانيَّة – حسب تعبير الغزالي أبي حامد – التي يشْعر بها الإنسان، وهو محلّ التصديق والإيمان، وعلى اعتبار أنَّ الفكر الإسلامي ينفتح على عالم الغيب، بل إنَّ اعتبار الوحي والكون كمصدرين له ينبني على التَّصديق بالغيب والإيمان به، وهو توحيد الله باعتباره منزل الوحي وخالق الكون، وذلك لا يكون إلاَّ بالقلب محلّ التَّصديق والإيمان؛ لذا نجد المولى – عزَّ وجلَّ – يُسْبِق لفظ الغيب بالإيمان ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ البقرة: ٣

---

[1] تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ، سورة الروم. آية 6-7.

[2] انظر: التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1932، صـ:142-144.)

؛يصدقون تصديقا جازماً بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس كالرب تبارك وتعالى ذاتاً وصفاتٍ، والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها [1].

المبحث الثاني
الإبداع المعرفي في القرآن الكريم

وبعد أن بينا مصادر المعرفة ووسائلها في القرآن الكريم حتى تبين للقراء والباحثين أن القرآن الكريم أسس لنظرية المعرفة ووضع لها أسس واضحة مما أسهم في النقلة النوعية في حياة المسلمين وجعلهم يضعون مناهج علمية واضحة المعالم كما نوهنا في مقدمة البحث، أما وقد حان وقت التعريج على مظاهر الإبداع في القرآن الكريم والتعريف بتلك المناهج عند علماء المسلمين فهذا ما

سيتضح في السطور القادمة من هذا المبحث.

مظاهر الإبداع المعرفي في القرآن الكريم

أولاً: اهتمام القرآن الكريم بالعقل والتفكير:

تبدو تلك المكانة التي يحتلها العقل ووظائفه والتفكير وأدواته في القرآن، في عدة مظاهر من بينها:

الدعوة الصريحة إلى التفكر والنظر وطلب المعرفة والعلم. فقد حض القرآن على النظر العقلي بنصوص كثيرة ودعا إلى التفكر وإعمال العقل في جميع مجالات الوجود الكونية والنفسية والاجتماعية، واستخدم في ذلك ألفاظاً متنوعة وعبارات شتى: كالتعقل والنظر والتبصر والتدبر والتفكر وغيرها من العبارات التي تشير إلى ملكة التفكير في الإنسان.

صحيح أنه لم يرد لفظ "العقل" في القرآن كاسم علم ، ولعلَّ في ذلك إشارة إلى أنَّ العقل ليس له ماهية قائمة بذاته كما تصور الفلسفة اليونانية، ولكن القرآن الكريم ملئ بالعبارات والصيغ التي تشير إلى العمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان، ووردت مشتقات العقل في تسع وأربعين آية كلها بالصيغة الفعلية مثل: "عقلوه"، و "نعقل" ، و"يعقلها"، التي وردت كل منها مرة واحدة.، و"يعقلون"، التي وردت اثنتين وعشرين مرة، و"تعقلون"، التي وردت أربعاً وعشرين مرة. كما وردت مرادفات العقل بالصيغة الإسمية مثل : اللب وجمعه ألباب، والحلم وجمعه أحلام، والحجر، والنهى، والقلب والفؤاد، وكلها بمعنى العقل أو أداة التفكير. كما جاء التعبير في القرآن عن العقل الذي يفكر ويستخلص من التفكير زبدة الرأي والروية، بكلمات متعددة تشترك في

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير): جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج 1 – صـ 20.

المعنى أحياناً، وينفرد بعضها بمعناه، على حسب السياق، في أحيان أخرى، فهو التفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والفقه. (1)

التفكر: ورد مصطلح التفكر في آيات متعددة تتضمن عدة معاني ومنها ما يلي:

1- الدعوة إلى إعمال العقل، والتفكر في مظاهر الوجود المختلفة، والنظر في آيات الكون بسمائه و أرضه – وما جعل في الأرض والسماء من أسباب الحياة للإنسان والحيوان، وإلى النظر في الكائنات وما ركب فيها من طبائع تدل على عظمة الخلق الإلهي وغاياته ومقاصده. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ النحل: ٦٨ - ٦٩

واهتم القرآن الكريم بصفة خاصة بظاهرة خلق الإنسان وموته ومسيرته في الحياة وعلاقات الناس ببعضهم بعضاً، ولفت نظر الإنسان إلى ذلك وحثه على التفكر في هذه الظواهر للوقوف على الحكم الإلهية وأسرارها. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الروم: ٨

2- الحث على التفكر في القرآن وحكمة التشريع، حتى يدرك الإنسان ما في التشريعات من منافع، وما وراءها من حكم، فيلتزم بها عن قناعة عقلية ويتيقن أنها حق لا يجوز العدول عنه أو التفريط فيه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ البقرة: ٢١٩

3-كما تحض على استنباط الحكم والعبر من الأمثال والآيات: إذ ضرب القرآن العديد من الآيات والأمثال ودعا إلى التفكر فيها والتأمل، من أجل إدراك أهدافها ومراميها: قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ العنكبوت: ٤٣

(1) راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب المصرية 1364هـ

4– النظر: قد وردت كلمة النظر فيما يقرب من مائة وثلاثين آية، يشير بعضها إلى النظر الحسي وبعضها إلى معنى الانتظار، وغالبيتها إلى النظر الذي يقوم على الفحص والتأمل والروية والتبصر بحقائق الوجود والخلق، ومن هذه الأخيرة قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ الطارق: ٥

5– التبصر: قد ورد معنى التبصر كأداة من أدوات المعرفة، فيما يقرب من مائة وخمسين آية، منها قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ الذاريات: ٢١

6– التدبر: وقد جاءت كلمة تدبر في أربع آيات مرتبطة جميعها بالقرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ ص: ٢٩

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ النساء: ٨٢

7– الاعتبار: قد ورد الاعتبار في سبع آيات تدعو إلى أخذ العبرة من سير السابقين، ومن آيات الله في الكون والآفاق، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٤﴾ النور: ٤٣ - ٤٤

8– الفقه: قد وردت مادة الفقه في عشرين آية تدعو في مجملها إلى التفقه وهو "خطوة عقلية أبعد مدى" من التفكر، إذ هي الحصيلة التي تنتج عن عملية التفكير، وتجعل الإنسان أكثر وعياً لما يحيط به، وأعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وعلائقه في الكون ، كما تجعله متفتح البصيرة دوماً " [1]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾ الأنعام: ٦٥

كما وردت آيات تذم الذين لا يبذلون جهداً في التفقه والمعرفة مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ الأعراف: ١٧٩

[1] تهافت العلمانية: عماد الدين خليل، دار ابن كثير سنة النشر: 1429 – 2008 صـ:30.

بهذه الدعوة وهذا المنهج فتح القرآن الكريم للفكر الإنساني آفاقاً واسعة وحثه على التفكر في مجالات شتى بدءاً بالقرآن الكريم نفسه ، وما أنزل فيه من تشريعات وأحكام، وما ضرب فيه من أمثال وآيات، و يمتد مجال الفكر ويتسع ليشمل الكون بأسره وما فيه، الآفاق والأنفس، وهكذا يتم من خلال التفكر والتدبر فهم الوحي الإلهي المكتوب، واكتشاف أسرار كتابه المشهود(الكون) ، وبتطابق معرفة الكتابين يزداد الإنسان يقيناً وإيماناً كما يزداد علماً وبصيرة.

ثانياً : تحرير العقل من عوائق التفكير:

سعى القرآن بداية إلى تحرير العقل من أي عائق أو قيد يحول بينه وبين أن يقوم بوظيفته، مثل التقليد الأعمى للآباء، أو اتباع الهوى ، أو الأخذ بالظن من غير يقين.

1– ذم التقليد : التقليد إلغاء للعقل وتعطيل له عن أداء وظيفته، لذا ذمه القرآن، ونعى على أولئك الذين رفضوا الحق المبين، لا لشئ إلا لتمسكهم بما كان عليه آباؤهم من خرافات وأباطيل مخالفة للحق الذي جاءت به الرسل ونزل به الوحي، فقطعوا على أنفسهم طريق العلم وحرموا أنفسهم نعمة الفهم. فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ البقرة: ١٧٠

فالعقل الذي كرمه الله لا ينبغي أن يخضع لأي سلطة تحول بينه وبين النظر المستقل والسعي إلى طلب الحقيقة، حتى لو كانت هذه السلطة سلطة رجال الدين أنفسهم. لذلك نعى القرآن الكريم على أولئك الذين ألغوا عقولهم وخضعوا لسلطة الأحبار والرهبان،

ووصف ذلك بأنه خضوع لا يقل عن درجة العبادة لهم قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ التوبة: ٣١

كما ذم الرسول تلك الذيلية الخانعة التي تلغي العقل ويخضع الإنسان بموجبها للرأي الجمعي، ويتبع الجماعة كما يتبع الماشية القطيع، من غير تفكير ولا روية: " لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم ،إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا " [1]

2– ذم الهوى: لقد ذم القرآن اتباع الهوى، كما ذم التقليد الأعمى لأنَّ اتباع الهوى يفسد الحكم على الأشياء، كما يفقد الباحث عن الحق، الموضوعية في نظره إلى الأشياء وحكمه عليها. وبين أن إتباع الهوى قرين بالظلم والضلال والإفساد في

[1] سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م،كتاب البر والصلة، رقم:2007.

الارض، وفي الوقت نفسه مضاد للعلم والهدي الالهي والحق قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١١٩

3- **اجتناب الظن:** حرص القرآن الكريم على استقامة منهج النظر العقلي، لذلك ذم بناء المعلومات على الظن لأنَّ الظن لا يفيد يقيناً ولا علماً، ولا يغني من الحق شيئاً، كما عبر القرآن الكريم. وفي الوقت نفسه ذم القرآن متبعي الظن ووصف بعضهم بالجهل، ووصف آخرين منهم بعدم العلم والكذب والتخرص قال تعالى:﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٨

كما دعا المؤمنين إلى اجتناب الظن فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢

وأكد في الوقت نفسه ضرورة قيام العلم الصحيح وتأسيس اليقين على أساس من النظر والاستدلال العقلي السليم أو البرهان.

ثالثاً: الدعوة إلى الحوار والجدال وطلب البرهان:

أخذ القرآن بمبدأ الحجاج واعتمد الحوار والجدل البناء أسلوباً أصيلاً في توجيه الخطاب إلى الناس كافة، فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

وفي الوقت نفسه ذم الجدال الذي لا يستند إلى دليل موضوعي أو برهان منطقي قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾ الحج: ٣

وتأكيداً لذلك نبه الرسول على الآثار السلبية الناتجة عن الجدال بالباطل فقال: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الزخرف: ٥٨

وطالب القرآن أصحاب الدعاوي الباطلة أن يبرزوا ما لديهم من أدلة وبراهين يستندون إليها في دعاويهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ البقرة: ١١١

The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 3, Bil. 1, May (2024)
ISSN: 2948-3778 e-ISSN: 2948-3913 https://ijisc.unishams.edu.my

رابعا: الإبداع القرآني في وضع أسس منهج البحث العلمي:

1- المنهج الاستدلالي:

بالإضافة إلى دعوته إلى النظر العقلي وتحريره العقل من معوقات التفكير، وجه القرآن العقول إلى استخدام وسائل في الاستدلال وأساليب في الجدل تمثل في جملتها منهجاً تميز به القرآن، وأصبح أساساً بنى عليه المسلمون مناهجهم في البحث وطرقهم في الاستدلال. وقد سلك القرآن في مخاطباته أساليب شتى، وتفنن في ضروب الهداية وطرق الاقناع، لاختلاف مشارب الناس وتباين مقاصدهم، وتفاوت مداركهم. [1]

ومن بين تلك الأساليب والطرق التي وردت في القرآن الكريم:

- **السبر والتقسيم:** وهو باب من أبواب الجدل يتخذه المجادل سبيلاً لإبطال دعوى من يجادله، ويكون ذلك بحصر أوصاف أو أقسام الموضوع الذي يجادل فيه، ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأقسام أو الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع. ومن أمثلة هذا المنهج من القرآن، قول الله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ الأنعام: ١٤٣ - ١٤٤

يقول الإمام السيوطي:(إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى، رد تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم ،فقال: إن الخلق لله تعالى، خلق من كل زوج مما ذكر، ذكراً وأنثى فمما جاء تحريم ما ذكرتم ؟أي ما علته؟. لا يخلوا الأمر: إما أن يكون من جهة الذكورة، أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدرى له علة وهو التعبدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى ، والأخذ عن الله تعالى: إما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه ،وهو معنى قوله:(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا). فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها: الأول، يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما. الثاني، يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما. الثالث، يلزم عليه تحريم الصنفين معاً .فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة

[1] انظر نماذج من تلك الأساليب في: القرآن والنظر العقلي: فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، ولاية فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية الطبعة: الأولى 1993، صـ:109-131.

وبعض في حالة ،لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل. وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله." [1]

– **الأقيسة الإضمارية:** وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف. وهو أسلوب شائع في القرآن. وقد ذكر الإمام الغزالي: أن القرآن مبناه الحذف والإيجاز، أي في شكل الأقيسة، واقرأ قوله تعالى يرد على النصارى الذين يزعمون أن عيسى ابن الله لأنه خلق من غير أب قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ آل عمران: ٥٩ - ٦٠

وسياق الدليل: أن آدم خلق من غير أب ولا أم، وعيسى خلق من غير أب، فلو كان عيسى إلها بسبب ذلك، لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابناً ولا إلهاً باعترافكم، فعيسى أيضاً ليس ابناً ولا إلهاً. [2]

– **قياس الخلف:** وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود. وقد ورد هذا النوع من القياس في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ النساء: ٨٢

فاذا ثبت أنَّ القرآن ليس فيه اختلاف ولا تضارب في مقرراته وعباراته، فإنه يثبت النقيض وهو أنَّه من عند الله تعالى.

– **قياس التمثيل:** وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول، ويبين الجهة الجامعة بينهما. ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ يس: ٧٨ - ٨١

[1] انظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ج 4 صـ:55، و مناهج الجدل في القرآن الكريم: زاهر عواض الألمعي، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان ، صـ:74.

[2] انظر: المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي صـ:398

ففي هذه الآيات عقدت المشابهة والمماثلة بين ابتداء الخلق وإعادته. [1]

وهكذا تتنوع أساليب الجدال القرآني وتتعدد طرق الاستدلال والبرهنة لتبين الحق لمختلف أنواع المخاطبين، وترد على المعارضين وتكشف بطلان ما اعتقدوه، ووهم ما تمسكوا به من أدلة وبراهين. يقول الراغب الاصفهاني: " قد اشتمل القرآن الكريم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به ، لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين" [2].

ولعلَّ مثل هذه النظرة إلى البراهين القرآنية، هي التي أدت بالغزالي إلى محاولة الرجوع بأصل المنطق لا إلى أرسطو، بل إلى علوم الوحي والقرآن، ومحاولة استخراج العديد من البراهين الاستنباطية، والأقيسة البرهانية، وبعض أشكال المنطق الأرسطي، من آيات القرآن الكريم. [3]

الإبداع المعرفي في تنوع مجالات المعرفة في القرآن الكريم:

أثار القرآن الكريم الإنسان ولفت انتباهه إلى استخدام هذا المنهج، بطرقه المتعددة ومسالكه الحسية والعقلية، لاكتساب المعارف والعلوم فيما يتعلق بقضايا الوجود الكبرى: الله والكون والإنسان، والوقوف على الظواهر الكونية والاجتماعية والإنسانية، والسنن التي تحكمها وتربط بينها كسبيل إلى معرفة الله تعالى وإدراك حقائق الغيب والآخرة وما فيها من أحداث ووقائع. ومن بين تلك المجالات والظواهر التي دعا القرآن الى التفكر والنظر فيها ما يلي:

1- الظواهر والآيات الكونية: وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من عشرين سورة تدل أسماؤها على هذه الظواهر مثل: الرعد، والنور، والدخان، والنجم، والقمر، والبروج وغيرها، كما وردت العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق السموات والأرض وما فيهما، وتشير إلى مراحل هذا الخلق، وإلى تعدد العوالم وطبيعة الأجرام السماوية وتوازنها، وإلى الشمس والقمر ومداريهما، وإلى

النجوم والكواكب وجمالها ومنافعها للإنسان. وآيات تتحدث عن خلق الله للأرض، وما أوجد فيها من حيوان ونبات ومعادن. وتهيئته إياها لحياة الإنسان. وآيات تشير إلى أهمية الماء على وجه الأرض وإلى أنه أصل الحياة عليها، وإلى أثر الجبال في استقرار توازنها، وإلى مسالك الأرض البرية والمائية وعلامات الهداية للإنسان في حله وترحاله. كما نبهت كثير من الآيات على الظواهر النباتية وأشارت إلى أثر المطر في الزرع وتناسل النبات وتنوع الثمرات ومنافعها وجمالها. أما الظواهر الحيوانية فقد وردت سور عديدة تحمل أسماء الحيوانات مثل: الأنعام والبقرة والنحل والنمل والعنكبوت والفيل وغيرها. وأشارت الآيات القرآنية

---

[1] انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: زاهر الألمعي، مرجع سابق صـ:78.

[2] مقدمة في التفسير: أبو القاسم الحسن بن محمد بن الفضل الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، صـ42/41.

[3] مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي، مرجع سابق، صـ:111.

العديدة إلى أنواع الحيوانات ومنافعها وما فيها من جمال وزينة، وإلى وجود مجتمعات في عالم الحيوان مثل: مجتمعات النحل والنمل والطيور. شبيهة بالمجتمعات الإنسانية. [1]

فقد لفت القرآن نظر الإنسان إلى التدبر والتفكير في جزئيات الكون من سماء وأرض وجبال وأنهار وغيرها من مظاهر الطبيعة، وإلى النظر في ظاهرة خلق الحيوان والإنسان بصفة خاصة وما في ذلك الخلق من آيات ودلائل الإعجاز الإلهي في الخلق والصنع، فيقول تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ الذاريات: ٢٠ - ٢١

ويقول: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥﴾ الجاثية: ٣ - ٥

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٖ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ الأعراف: ١٨٥

والنظر ليس المراد به مجرد الملاحظة العابرة بل ما يؤدي إلى الكشف عن بعض الحقائق التي يمكن استخدامها لاستنباط معرفة جديدة ، وإلا فلن تكون للملاحظة قيمة يقول الله عز وجل ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ يوسف: ١٠٥

وقد دعا القرآن إلى دراسة الظواهر الكونية ومحاولة التعرف على المراحل التي تمر بها ودراستها دراسة دقيقة، ومحاولة معرفتها معرفة علمية صحيحة من جميع جوانبها، قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ الزمر: ٢١

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ النور: ٤٣

[1] حول النظام المعرفي في القرآن الكريم: محمود عايد الرشدان ، الفكر الاسلامي المعاصر، مجلد 3، العدد 10 1997م، ص:31.

كما دعا القرآن الكريم إلى دراسة كيفيات الأشياء وما يتعلق بطبيعتها والقوانين التي تحكم العلاقة بين أجزائها، وأسباب ومراحل حدوثها، فيقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾ الأنبياء: ٣٠

وأكد على الاهتمام بدراسة كميات الأشياء وما فيها من علاقات تؤدى إلى معارف وعلوم أخرى. فمن النظر في ظاهرة الشمس والقمر يمكن التوصل إلى علم العدد والحساب قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥﴾ يونس: ٥

2 – الظواهر الإنسانية والاجتماعية: اهتم القرآن الكريم بالظواهر الإنسانية والاجتماعية من جانبين: من جانب أنها تشير إلى قوانين تنظم حركة الإنسان والعلاقات الاجتماعية بين الناس. ومن ناحية أخرى فإنها نماذج يهتدي بها الإنسان ويسترشد بها في تنظيم حياته كفرد وجماعة. وهناك سور عديدة تحمل أسماء أقوام وأمم أو أفراد مثل: هود، ويوسف، وإبراهيم، ومريم ، وسبأ، والروم، وقريش. وسوراً تحمل أسماء ظواهر اجتماعية أو إنسانية مثل: التوبة والأحزاب والشورى والمجادلة والمنافقون، والطلاق والهمزة والمطففين، وهناك سورة عن الإنسان، وآيات كثيرة تشير إلى خلقه بوجه عام وتطور الجنين بوجه خاص، ومراحل الخلق التي يمر بها الإنسان، وآيات أخر تشير إلى الأسرة الإنسانية وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، وإلى تنوع المجتمعات واختلاف اللغات والألوان وتباين النشاطات الإنسانية [1]

3– الأحداث والوقائع التاريخية: اهتم القرآن بالتاريخ باعتباره أحد مصادر المعرفة الانسانية، وقدم في هذا الصدد أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، ينتقل من مجرد العرض والتجميع إلى محاولة استخلاص السنن الإلهية أو القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية، وما في تلك الأحداث التاريخية من عبر ودروس، فيقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ يوسف: ١١١

فالتاريخ في المنظور القرآني تحكمه قوانين ثابتة مطردة عبر عنها بسنن الله، ودعي الإنسان إلى اكتشافها، فيقول تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ٢٣﴾ الفتح: ٢٣

كما بين القرآن الكريم أهمية الدور الإنساني في حركة التاريخ قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ الرعد: ١١

[1] راجع :حول النظام المعرفي في القرآن الكريم: محمود عايد الرشدان ، مرجع سابق، صـ:31

ووضع القرآن أساساً ومنهجاً لقبول الأخبار وردها، كما تشير إليه الآية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ الحجرات: ٦

مما مكن المؤرخين المسلمين من تكوين رؤية واضحة في ذلك. وباتباع هدي القرآن الكريم في التحقق من مصادر الخبر وتمحيصها، وضع المسلمون أصول علم الحديث، وبذور ما يعرف بمنهج الاستقراء التاريخي كما سنرى في السطور القادمة.

وهكذا تتنوع موضوعات القرآن ومحاوره فتشمل: الإنسان فرداً وجماعة، والكون وما فيه من عجائب خلق الله وآياته، والتاريخ وما فيه من دروس وعبر. وصدق الله تعالى إذ يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ فصلت: ٥٣

وتبعا لذلك تتنوع مجالات الفكر الإسلامي ليشمل الغيب وحقائقه، وما في الأنفس والآفاق من ظواهر كونية واجتماعية ونفسية.

هدايات القرآن في إبداع المسلمين في مجال المناهج العلمية:

بفضل ذلك المنهج القرآني الذي يستند إلى استثارة ملكة التفكير ويدفع الناس إلى إعمال عقولهم، والنظر في الكون وفي أنفسهم، حول الإسلام العرب من أمة أمية لا تكتب ولا تحسب، كما عبر القرآن الكريم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ الجمعة: ٢

إلى أمة رائدة في مجال العلم والمعرفة

وقد استفاد المسلمون من دراسة القرآن الكريم الذي نمى فيهم النزعة العلمية، وغرس في نفوسهم الميل الشديد إلى البحث والنظر والملاحظة والتجربة. وفي رحاب هذه الأجواء العلمية المستمدة من القرآن الكريم، ظهرت أجيال من العلماء والمفكرين الذين وجهوا جهودهم نحو صياغة المناهج العلمية المختلفة في مجال البحث العلمي، مجسدين التصور القرآني للعلم ومناهجه، فأدى ذلكم إلى قيام نهضة علمية شملت مختلف الميادين العلمية والمعرفية، ونشأت علوم ودراسات حول القرآن وعلومه، والتفسير وفنونه، والسنة ومصطلحاتها، والفقه ومدارسه، والعقيدة وقضاياها، واللغة وآدابها، والتاريخ ومصادره، إلى غير ذلك من المعارف والعلوم.

لقد فتح الوحي الإلهي للعقل المسلم أبواباً شتى من العلوم والمعارف، ليس في مجال العلوم اللغوية والشرعية فقط، بل امتد ذلك ليشمل الطب والجدل، والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك.

والسؤال الذي يثار هو ما قيمة ما انتجه المسلمون من معارف وما وضعوه من مناهج؟ وهل أنشأ المسلمون هذه العلوم وكونوا تلك المناهج بناء على هدي الوحي الالهي فحسب، أم أنهم استفادوا من تجارب إنسانية أخرى لا سيما التجربة اليونانية. وأهمية هذا السؤال تبدوا في إطار الحملة التي شنها بعض متعصبي المستشرقين على الفكر الإسلامي، و حاولوا من خلالها إنكار أي فضل للمسلمين في تقدم العلوم وازدهار المعارف الإنسانية. بل غالى بعضهم في عصبيته فادعى بأن القرآن هو الذي عاق المسلمين عن التفكير الحر والنظر المعرفي.

وبداية يمكن القول بأن الإسلام لم يضع قيودا على المسلم فيما يتعلق بالثقافات الإنسانية الأخرى، وأعتبر كل جهد بشري مفيد ونافع من الحكمة التي هي ضالة المؤمن، وهو أحق الناس بها أنى وجدها. لذلك لم يجد المسلمون حرجا في الاستفادة من تجارب الأمم التي اتصلوا بها، والوقوف على ما لديهم من معارف وعلوم. استفادوا منها في صياغة مناهجهم و في مجال العلم التجريبي وميادين المعرفة المتعددة.

للإجابة على هذا السؤال سنحاول استعراض مناهج بعض العلوم الاسلامية ونستكشف الأصول التي استمدت منها لنقف على مدى ابداعهم أو تقليدهم لغيرهم فيها. كما سنعرض لبعض ما أبدعه المسلمون في مجالات العلوم التجريبية من طب وهندسة وفلك ورياضيات.

المبحث الثالث

أثر هدايات القرآن الكريم في تكوين مناهج البحث العلمي لدى علماء المسلمين.

وسنعرض فيما يلي بعضاً من تلك المناهج التي وضعها علماء المسلمين:

منهج أصول الفقه: هو المنهج الذي استخدمه الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية. وتعود بدايات هذا المنهج إلى عصر الصحابة، الذين وضعوا الضوابط التي بواسطتها تستنبط الأحكام. وينقل المؤرخون لهذا العلم أن ابن عباس، كان له كلام يدل على إحاطته بالعام والخاص والناسخ والمنسوخ, وما روي عنه من قوله :«كانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ماذا يعني ؟ يعني أنهم كانوا إذا جاءهم خبر متأخر يعارض خبراً متقدما اعتبروا الأول منسوخا والثاني ناسخاً، وهذا باب من أبواب أصول الفقه اسمه باب النسخ. وفي العصر الأول والعصر الثاني وضعت قواعد للقياس وشرائط للعلة. ويؤكد ابن خلدون ذلك فيقول عن الصحابة رضي الله عنهم: " إنهم كانوا يقيسون الأشباه بالأشباه منها، ويناظرون الأمثال بالأمثال، بإجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك، فإنَّ كثيراً من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه، لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت، والحقوها بما نص عليه بشروط في ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين، حتى يغلب على الظن أن حكم الله

تعالى فيها واحد، وصار ذلك دليلاً شرعياً بإجماعهم عليه، وهو القياس" [1] ولكن يعود الفضل إلى الإمام الشافعي (150-204هـ) في وضع مقدمات هذا العلم وترتيب قضاياه. ويجمع مؤرخو علم الأصول على أن أول محاولة لوضع مباحث الأصول كعلم إنما قام بها الشافعي ،حيث وجه الدراسات الفقهية إلى ناحية علمية، ووضع نظاماً للاستنباط العلمي الذي لا يعني بالجزئيات والفروع، بل كانت غايته ضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها". ، ولهذا وازن الرازي بين الشافعي وأرسطو، " فاعتبر نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة المعلم الأول(أرسطو) إلى علم المنطق. [2] . وقد أورد الشافعي تلك القواعد الأصولية وتكلم عن الخاص والعام، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وأفاض في الحديث عن الاجماع وإثبات القياس في رسالته المشهورة، كما أخذ ينقض بعض التعريفات من ناحية خروجها عن متابعة نظام متحد في طريقة الاستنباط " ، كما أخذ بالدليل الاستقرائي في مجال الأحكام، وحدد معالم المنهج في تحقيق القياس الأصولي. [3] وبعد الشافعي توسع الأصوليون في مباحث القياس، وابتكروا العديد من الطرق الضابطة لا تقل عن طرق الاستقراء المعاصرة.

وقد أرجع الأصوليون القياس إلى نوع من الاستقراء العلمي الدقيق الذي يقوم على قانونين قام على أساسهما المنهج الاستقرائي في العصر الحديث وهما: قانون العِلَّة، وقانون الاطراد في وقوع الحوادث،. واعتبروا العِلَّة أهم أركان القياس، وعليها مدار تعدية الحكم من الأصل الى الفرع، لهذا أشبع الأصوليون مفهوم العِلَّة بحثاً وتحقيقاً، وفصلوا أحكامها وشروطها، وكيفية التعرف عليها. وعالجوا ذلك فيما يعرف لديهم بمسالك العِلَّة: والتي من أهمها : السبر والتقسيم، والطرد والعكس والدوران، وتنقيح المناط. وقد سبقوا في ذلك كله –كما يقول بعض مؤرخي الفكر الإسلامي– المناطقة المحدثين، متأثرين في ذلك كله بمنهج القرآن الكريم ونزعته التجريبية ، ووضعوا منهجاً في البحث العلمي بنى عليه علماء المسلمين التجريبيون علومهم، واستخدموه في مجال بحوثهم العلمية من فلك وطب وكيمياء ورياضيات، وهندسة و غيرها. [4]

مناهج المحدَّثِين: إن مناهج المحدَّثِين نتاج طبيعي وأثر من أثار المنهج القرآني. ووفقاً لهدي القرآن– الذي حارب الكذب والوهم، وحذر من نتائج الخطأ والنسيان، وطالب بالبرهان والدليل، وذم اتباع الظن والهوى، وحذر من قبول خبر الفاسق الذي لا يلتزم بمبدأ الصدق والتثبت. وقد وضع علماء الحديث منهجاً يقوم على قواعد النقد العلمي للأخبار والمرويات، وطبقوا ذلك المنهج في دراسة السُنَّة وروايتها وجمعها، وذلك لأن معظم السُنَّة جاءت من طرق أحاد من الصحابة، ولم تنقل كما نقل القرآن الكريم بالتواتر ،وتعرض بعضها لأوهام الرواة وخطئهم ونسيانهم، ووضع الوضاعين وكذبهم. وقد اجتهد المحدثون في جمع

---

[1] المقدمة: عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م، ج 3 صـ:1062.

[2] التمهيد لدراسة الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرازق، الناشر: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، صـ:230-33.

[3] انظر: الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ هـ – ٢٠٤ هـ) ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م صـ:223.

[4] انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام: علي سامي النشار، دار الفكر العربي، القاهرة، صـ:97-103 111-117، 14.

الروايات، ونقدوا أحوال الرواة ومروياتهم، واحتاطوا أشد الاحتياط في ذلك، وحكموا بضعف الحديث لأقل شبهة تتعلق بسنده أو بمتنه، وقدموا الجرح على

التعديل، فجاءت الطرق التي سلكوها على أقوم ما يمكن أن تكون عليه الطرق العلمية، وكانت القواعد التي وضعوها أصح القواعد للإثبات التاريخي، ونقل الأخبار.

وقد نقد المحدثون سند الحديث، كما نقدوا متنه، ونظرة موجزة لجهدهم في المجالين يتضح من خلالها قيمة ما قاموا به. وفي تقييم الرجال وضعوا علوماً خاصة، (كعلم الجرح والتعديل)، الذي يهتم بأحوال الرجال من حيث الحكم عليهم بالقبول أو الرد، ووصفهم بأوصاف الثقات العدول أو المجروحين والمتروكين. ووضعوا ضوابط للراوي الثقة، وبحثوا في كيفية معرفة عدالته, وضبطه، إلى غير ذلك من الضوابط المتعلقة بأمانة الأداء وقوة الذاكرة، في الحفظ والضبط. كما وضعوا علم العلل الذي يهتم بمتابعة الثقات ورواياتهم، ويتناول أنواعاً من الفقه النقدي، بعضها تاريخي، وبعضها اجتماعي، وبعضها نفسي، وبعضها عقيدي، وبعضها فقهي" [1].

أما متن الحديث، فلم يغفله المحدثون، كما زعم بعض المستشرقين، بل اهتم نقدة الحديث بنقد نصوص الأحاديث أو متونها، وناقشوا ما روي، وبينوا ما يعارضه من النصوص، أو ما يعارضه من أحكام العقل، أو ما قد يبدوا فيه من مخالفة لمبادئ الإسلام ومنطقه ومناهجه.

ونظرة عجلى لما قام به علماء الحديث يتبين، أن منهجهم منهج قرآني مستمد من القرآن و السُنَّة ،وأنه منهج تأريخي نقدي، وما وضعه المحدثون من منهج وما بنوا من قواعد كان له أثر في معظم العلوم والفنون النقلية، وتأثر بهم علماء اللغة والأدب وعلماء التاريخ وغيرهم، وتبنوا منهجهم في نقل النصوص ورواياتها وثبوت نسبتها إلى قائلها.

منهج المتكلمين:

علم الكلام علم إسلامي نشأ في البيئة الإسلامية، واستمد قضاياه ومسائله، شأنه شأن العلوم الشرعية، من القرآن و السُنَّة. أما صياغة تلك القضايا والمسائل، ووضع المناهج للتعبير عنها والبرهنة عليها، فقد مال علماء الكلام، مع استصحابهم للنصوص الشرعية، إلى استخدام العقل والتركيز على مناهجه وبراهينه.

وقد استند المتكلمون- في شرعية استخدامهم للنظر العقلي- إلى ما ورد في القرآن الكريم من أمر باستخدام العقل وإعماله في الكون والأنفس، وحث القرآن الكريم على النظر والتفكر والاعتبار. كما أن احتكاك المتكلمين بأصحاب الديانات والملل

[1] انظر: الفكر المنهجي عند المحدثين: همام عبد الرحيم سعيد، كتاب الأمة، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، أول محرم 1408 هـ- 1988م صـ: 102،58-103.

والثقافات الأخرى ومجادلتهم، وردهم على أصحاب تلك العقائد والاتجاهات الفكرية المخالفة للإسلام، كان له أثر انعكس في صياغتهم لمناهجهم وأساليبهم، التي توجهت في الأساس إلى الدفاع عن العقائد الإيمانية وإقامة الأدلة والبراهين عليها. [1]

نتيجة لذلك نجد أن علم الكلام يقوم على دعامتي العقل والشرع، وفى هذا تلتقي كل المدارس الكلامية، على اختلاف فيما بينها، في تحديد العلاقة بين العقل والشرع. فالمعتزلي واصل بن عطاء يذهب إلى أن الحق يعرف من وجوه أربعة: كتاب ناطق، وخبر مجمع عليه وحجة عقل أو إجماع من الأمة" [2]

كما يقرر القاضي عبد الجبار أن الدلائل أربعة: "حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع". وبالمثل يذهب الأشاعرة إلى أن جملة الطرق التي تدرك بها العلوم تنحصر في خمسة: العقل والكتاب والسنة والإجماع والقياس" . أما الماتريدي (ت:333هـ) فيقرر في كتابه التوحيد:" أن أصل ما يعرف به الدين وجهان : أحدهما السمع والآخر العقل " وبهذا يختلف الكلام عن الفلسفة، التي تستند إلى العقل وأحكامه من غير اعتبار للشرع أو الوحي.

ومع اصطحاب المتكلمين للسمع والعقل معا فإن اعتدادهم بالدليل العقلي والاعتراف بصحة ما يدل عليه في المسائل الاعتقادية، أدى بهم إلى القول: بوجوب النظر والاستدلال العقلي كأساس للاعتقاد، وعدم الاكتفاء بالتقليد في قضايا العقيدة. كما أنّهم أثاروا قضية العلاقة بين العقل و النقل بصورة حادة، و استخدموا التأويل كمنهج، واتخذوا موقفاً سلبياً تجاه أحاديث الآحاد كمصدر للعقيدة. [3]

منهج علوم التصوف: يعد التصوف في أصوله وبداياته الأولى ثمرة من ثمرات الالتزام بالعقيدة الإسلامية والمنهج القرآني، حيث سعى علماء التصوف إلى بلوغ درجة الإحسان التي يرتقي فيها المسلم بعبادته الى درجة المشاهدة أو المراقبة، (أن تعبد الله كأنك تراه ..).وقد استمد التصوف أصوله الأولى من التعاليم الإسلامية، والقيم الأخلاقية التي أرساها القرآن الكريم والسنَّة المطهرة، وأن هذا المنهج كان في بداياته وإلى حد ما- صياغة عملية لتعاليم الإسلام في العبادة والسلوك متمثلة في تقوى الله في السر والعلن، واتباع السنَّة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق، والتمسك بقيم الصبر والتوكل على الله والرضى بما قسم، والرجوع إليه سبحانه في السراء والضراء. ولكن التصوف كما هو معلوم مر بمراحل، وتقلب في أطوار بعدت به عن تلك الغاية والوسائل التي تحققها، نتيجة لتأثر بعض الصوفية ببعض التصورات الكلامية، والنظريات الفلسفية الغنوصية. [4]

---

[1] انظر: مناهج البحث في العقيدة الاسلامية: أحمد محمد أحمد الجلي، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية، دبي، العدد: الثامن والعشرون ذو القعدة 1425/ديسمبر 2004م.

[2] انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: علي سامي النشار، ج 1 ص:3-4.

[3] انظر: مناهج البحث في العقيدة الاسلامية: أحمد محمد أحمد الجلي، مصدر سابق.

[4] انظر: طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، أحمد محمد أحمد جلي، ص:7-8. والفلسفة الصوفية في الإسلام: عبد القادر محمود، دار الفكر العربي،1966.

المنهج التجريبي: رغم أنَّ القرآن الكريم شجع على طلب العلم، وحث على استكشاف الكون، وشهد العالم الإسلامي خلال القرون الأولى للإسلام حركة علمية نشطة ازدهرت على أثرها علوم اللغة والأدب، وعلوم التفسير والحديث، فإن نشأة العلوم البحتة أو التطبيقية: كالطب والفلك والرياضيات والكيمياء والهندسة، لم تزدهر إلا مع حركة الترجمة ونقل علوم الأمم الأخرى أو علوم الأوائل، كما أطلق عليها المسلمون آنذاك، إلى اللغة العربية، فبتشجيع من القرآن الكريم، اطلع العلماء المسلمون على تراث الأمم العلمي – واستفادوا من مجهودات العلماء السابقين، وحفظوا ذلك التراث العلمي الذي سبقهم لا سيما التراث اليوناني من الضياع

، فانكبوا من ثم في عصر الفتوحات، على التراث المعرفي لمختلف الأمم التي لها سبق في مضمار الحضارة فترجموه إلى اللغة العربية، وامعنوا النظر في ذلك التراث، ووقفوا على ما أبدعته الأمم من فكر وثقافة وعلوم. ونتيجة لتلك الجهود التي بذلت خلال هذه الحركة الضخمة، أصبح المسلمون – كما يقول لويس يونج – على صلة تامة بحضارة واسعة تضم بين جدرانها أدباً واسعاً مكتوباً باليونانية والسريانية، لقد صبت جداول كثيرة في نهر الحضارة الاسلامية، ولعل أشدها تأثيراً رافد الحضارة الهلينية، ثم الحضارة الفارسية التي انتشرت في الفكر السياسي والعادات الاجتماعية، والحضارة الهندية التي أسهمت في علم الطب والفلك وخاصة في الرياضيات".

ولكن لم يقتصر دور العلماء المسلمين على النقل والحفظ، بل إنهم طبعوا ما أخذوه بطابعهم الخاص. فنقدوا وأضافوا واكتشفوا وابدعوا في مختلف مجالات العلم والمعرفة، وحققوا انجازات هامة في ميادين العلم التجريبي كالطب والكيمياء والفيزياء والفلك والرياضيات والجغرافيا وغيرها من العلوم، مما لا شك فيه أن الترجمة كان لها إسهام كبير في تقدم الحركة العلمية، وازدهار المعارف والعلوم كالطب والهندسة والرياضيات وغيرها، إذ اطلع العلماء المسلمون على تراث الأمم العلمي – واستفادوا من مجهودات العلماء السابقين، وحفظوا ذلك التراث العلمي الذي سبقهم لا سيما التراث اليوناني من الضياع. ولكن لم يقتصر دور العلماء المسلمين على النقل والحفظ، بل إنهم طبعوا ما أخذوه بطابعهم الخاص. فنقدوا وأضافوا واكتشفوا وابدعوا في مختلف مجالات العلم والمعرفة، وحققوا انجازات هامة في ميادين العلم التجريبي كالطب والكيمياء والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم. (1)

ففي مجال الرياضيات طوروا نظام كتابة الأرقام الغبارية وهي المنتشرة في بلاد المغرب العربي بما في ذلك الاندلس والتي انتقلت واستعملت في أوربا وسميت بالأرقام العربية، والأرقام الهندية وهي التي تستعمل في المشرق العربي، كما طوروا مفهوم الصفر الذي سهل العمليات الحسابية، كما اكتشفوا الكسور العشرية وطريقة كتابة الكسور الاعتيادية، وعلم الجبر واللوغاريتمات.

أما الطب فقد وضعوا له أصولاً ومناهج نظرية بجانب التجارب العملية، واشتهر منهم أبو بكر الرازي وكتبه: "الحاوي"، و"المنصوري"، و"الحصى في الكلى والمثانة". واهتدوا إلى العديد من العلل وعلاجها، فادركوا أن الأوبئة تنتقل عن تعفن تنتقل عدواه عن طريق الهواء والمخالطة، وسموا الأمراض المعدية بالسارية. وكانوا أول من فطن إلى تفتيت الحصاة في المثانة، ومن

(1) في تراثنا العربي الاسلامي: د. توفيق الطويل، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت 1985م، صـ:88.

أوائل من استخدموا المخدر واخترعوا الاسفنجة المخدرة، وأول من كشف البول السكرى والحصبة وغير ذلك كثير، هذا في الوقت الذي كانت السلطات الكنسية في أوربا تنفر من علاج الأمراض ومن استخدام الجراحة لأنها تغير من خلق الله في زعمهم.

وفي الكيمياء اكتشفوا أهم أسس الكيمياء. وأجروا عمليات التبخير والترشيح وأقاموا المعامل ووضعوا أصولاً لإجراء التجارب، وعرفوا كثيراً من الأجهزة والآلات التي كانت تستعمل في المعامل.

وفي الفيزياء اشتهر الحسن بن الهيثم، وكتبه في: البصريات، ونظريات حول الضوء التي تعتبر أساساً لعلم الفيزياء بالمعنى الحديث.

وفي الفلك رصد العرب النجوم وحركة دوران الشمس وظاهرة الكسوف والخسوف وبنوا المراصد الجوية.

وفي الجغرافيا خطوا خطوات واسعة، واستطاعوا أن يحددوا مواقع البلدان والطرق بدقة متناهية، ودرسوا الظواهر الجغرافية، ووصفوا البلدان جبالها وسهولها وأوديتها وحدودها ونباتاتها وحيواناتها، وتفننوا في رسم الخرائط.

وقد كان من نتائج هذه الحركة، أن شهدت الصناعات وفنون الزراعة والنظم الزراعية وأساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات، تقدمًا باهرًا كان مثار إعجاب ودهشة من أرخوا للعلم.

ورغم تلك المبتكرات والمخترعات والكشوف في مجالات العلم المختلفة، فقد كان الإسهام الأكبر للمسلمين في مناهج وطرق البحث العلمي التجريبي الذي كان أساساً للحضارة الأوربية الحديثة، والذي كان ابتكاراً إسلامياً، لأن الثقافة القديمة وخاصة اليونانية كانت تجهل الطريقة التجريبية وتحتقرها ولا تعني إلا بالدراسات النظرية المجردة. فاستطاع المسلمون أن ينشئوا منهجاً في البحث العلمي التجريبي يقوم على الملاحظة، وتمييز الظواهر بعضها عن بعض، والاستقراء، وصياغة القوانين، والموضوعية، وتحري الحقيقة.

ويعود هذا المنهج في أصوله إلى ما سبق أن وضعه علماء الأصول والحديث من أسس وقواعد، استمدوها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة من القرآن والسنة، فلدى، أولئك العلماء تكون المنهج العلمي قبل ان ينتقل إلى العلماء التجريبيين، الذين نقلوه من مرحلة النظر إلى التطبيق. والدليل على ذلك ما نجده عند ابن الهيثم في رسالته في الضوء، إذ يقرن لفظ الاعتبار "التجربة" بلفظ السبر، والمراد به الإبطال، وهو اللفظ الوارد عند علماء الأصول والمتكلمين" [1].

ويقوم المنهج التجريبي لدى علماء المسلمين على الأسس التالية:

1- الشك المنهجي، الذي يقود إلى تمحيص الحقائق، ونقد المصادر، ويمهد للتثبت من صحة الأفكار. وقد نادى بذلك كل من: النظام، والغزالي، والحسن بن الهيثم ووفقاً لهذا قيم ابن الهيثم فكر بطليموس وآراءه، وأشاد بجهوده في الرياضيات والعلوم،

[1] منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية و الكونية: جلال محمد موسى، تقديم وتحليل محمد علي أبو ريان، دار الكتاب اللبناني; بيروت 1972، 1972 م ص:27.

وذكر أنه وجد في كتبه علوماً كثيرة وفوائد عظيمة، ولكن لم يمنعه هذا من الإشارة إلى مواضع الضعف في أفكاره وعباراته ويقول عن ذلك: " لما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة، وجدنا فيها علوما كثيرة، ولما هضمناها وميزناها وجدنا فيها مواضع شبهة، وألفاظا بشعة، ومعاني متناقضة، ورأينا أن في الإمساك عنها هضماً للحق وتعدياً عليه، وظلماً لمن ينظر بعدنا في كتبه في سترنا ذلك عنه ، ووجدنا أولى الأمور ذكر هذه المواضع ، وإظهارها لمن يجتهد من بعد ذلك في سد خللها، وتصحيح معانيها، بكل وجه يمكن أن يؤدي إلى حقائقها" [1] .

وهكذا زاول علماء المسلمين من ناحية عملية هذا الشك في دراساتهم العلمية، فلم يسلموا بما قاله مشاهير المفكرين، بل أخذوا يعيدون النظر فيما يتلقونه منهم، ويحصوا أفكارهم لمعرفة صوابها من خطئها، و عملوا على إكمال نقصها أو إبدالها بغيرها من الأفكار التي اثبتت التجربة أو شهد العقل بصوابها.

2– الملاحظة: وهي الأساس الثاني من أسس المنهج العلمي فقد دعا علماء المسلمين إلى استخدامها، ومارسوها فعلاً في بحوثهم، واستعانوا بها في تمحيص أقوال من تقدموهم، والكشف عن أخطائهم. فجابر بن حيان (813/198م) ، يقول في المقالة الأولى من كتاب، (الخواص الكبير): " ويجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب، خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه. فما صح عندنا بالملاحظة الحسية أوردناه، وما بطل رفضناه" [2].

وتبدو مثل هذه الشواهد كثيرة، لا سيما في مجال الطب والفلك والجغرافيا. فرغم إعجاب العلماء المسلمين بجالينوس وطبه، فقد كشفوا في ضوء خبرتهم الحسية وملاحظاتهم، الكثير من أخطائه. ويقول أحد هؤلاء الأطباء :" فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية إيصالها وتناسبها وأوضاعها ما أخذنا علماً لا نستفيده من الكتب، إما أنها سكتت عنها، أو لا يعني لفظها بالدلالة عليها، أو يكون ما شاهدناه مخالفاً لما قيل فيها، والحس أقوى دليلاً من السمع، فإن جالينوس وإن كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره فإنَّ الحق أصدق منه." [3]

3–التجربة: أما التجربة التي هي مدار البحث العلمي التطبيقي، فقد فطن المسلمون إليها، واهتموا بها. وأسماها جابر بن حيان بالتدريب، وقال: "فمن كان درباً (مجرباً) كان عالماً حقاً، ومن لم يكن درباً (مجرباً) لم يكن عالماً، وحسبك بالدربة، (إجراء التجارب) في جميع الصنائع، أن الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل". ويقول أيضاً: إن واجب المشتغل في الكيمياء هو العمل وإجراء التجربة، و أن المعرفة لا تحصل إلا بها" [4]. وفي ظل تجاربه وفق جابر بن حيان إلى تحضير كثير من العناصر الكيمائية، وكان ابن الهيثم يزاول التجربة العلمية تكملة للملاحظة الحسية، ويسميها "بالاعتبار". وقد قام بالكثير من التجارب التي مكنته من التوصل إلى كشوفه العلمية.

---

[1] مجموعة رسائل الحسن بن الهيثم، طبع حيدر آباد الدكن 1357، رسالة في ضوء القمر صـ:3.

[2] انظر: في تراثنا العربي والاسلامي: د. توفيق الطويل، مرجع سابق، صـ:18.

[3] المرجع السابق: صـ 20.

[4] مناهج البحث: د. النشار، مرجع سابق صـ: 262.

4- الموضوعية والنزاهة العلمية: قد تميز علماء المسلمين بالنزاهة في الحكم والموضوعية في البحث. وتشير كثير من النصوص إلى حرصهم على ذلك. ،وقد أكد ابن الهيثم في كتابه "المناظر" على ذلك حيث قال: " ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا إتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننقده طلب الحق لا الميل مع الآراء، وليس ينال في الدنيا أجود ولا أشد قربة إلى الله من هذين الأمرين" [1]

ويذهب ابن رشد إلى هذا أيضاً إذ يقول: " إن من واجبنا، إذا نظرنا فيما قاله من تقدمنا من أهل الأمم السابقة، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك ، وما أثبتوه في كتبهم ، فما كان منه موافقاً للحق قبلناه، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه وعذرناهم " [2]

وبناءً على هذه الأسس، أبدع علماء المسلمين منهجاً للبحث التجريبي الاستقرائي ينصب على ملاحظة الظواهر الجزئية، وإجراء التجارب عليها بغية تحديد سلوكها، والكشف عن القانون العام الذي ترتبط بموجبه هذه الظواهر، وهذا هو الطريق الذي بدأه الأصوليون في منهجهم، فمارسوا الاستقراء على أساس الظواهر الجزئية منتهين إلى صياغة الحكم الشرعي الكلي ".

وهذا المنهج العلمي التجريبي منهج إسلامي أصيل، لم يستمده علماء المسلمين من اليونان، لأن البحوث العلمية والفلسفية عند الإغريق لم تكن تهتم بالتجربة، بل اتجهت أبحاثهم إلى دراسة الكون بظواهره وحوادثه طبقاً للطريقة الاستدلالية والتأويل العقلي المجرد، الذي بلغ ذروته عند أرسطو، واستنفذوا وسعهم في الاهتمام بالعلوم الصورية التي تستند إلى النظر العقلي المجرد، وكانوا يستخفون بالتفكير العلمي التجريبي ومناهجه، فأدى هذا إلى تدهور العلوم الطبيعية عندهم وتقدم العلوم النظرية الاستنباطية، وبناء نظريات ومفاهيم عقلية لا تمت بصلة إلى النظام الواقعي للكون، ولا تتطابق مع القوانين الطبيعية المستقلة عن النظريات الفلسفية المجردة". [3]

وبهذا المنهج العلمي التجريبي، أسهم العرب في نهضة أوربا حينما انتقل ذلك المنهج إليها وأخذت به، وكما تقول المستشرقة الألمانية زيغرد هونكه: "إن العرب لم ينقذوا الحضارة الاغريقية من الزوال، ثم نظموها ورتبوها ثم أهدوها الى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع. بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم التي سرق أغلبها ونسب لآخرين، قدم العرب للأوربيين أثمن هدية، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة الطبيعة وتسلطه عليها اليوم" [4]

.

---

[1] كتاب الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه البصرية، من تأليف الأستاذ مصطفى نظيف سنة 1942-1943 القاهرة.

[2] فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: ابن رشد، دار المعارف، القاهرة، ص:17.

[3] خصائص التفكير العلمي بين تراث العرب وتراث الغربيين: عالم الفكر، مجلد 3 عدد 4،الكويت 1977.

[4] شمس العرب تسطع على الغرب: د.زيغريد هونكه، دار صادر - بيروت (first published 1963) ، ص: 401-402.

ويؤكد هذه الحقيقة صاحب كتاب بناء الإنسانية (The Making of Hunanity) حيث يقول : "إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافاتهم لنظريات مبتكرة . إن العلم يدين لثقافة العرب بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده. إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوربا ظهر في أوربا نتيجة لروح جديدة في البحث، ولطرق جديدة في الاستقصاء عن طريق التجربة والملاحظة والقياس، وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوربي" [1] .

وهكذا وجه القرآن الكريم إلى هذا التتبع والاستقراء، الذي يوصل الإنسان إلى الحقيقة سواء كانت علمية أو دينية، قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ الواقعة: ٥٨ ـ ٦٢

كما أرشد إلى استخدام هذا المنهج العلمي الذى يقوم على الملاحظة والاستقراء والتجريب، وينتهي بالتذكر والاعتبار ومعرفة سنن الله في الكون، والوصول عن هذا الطريق إلى القياس العقلي واستنباط الحقائق العلمية والتأكد من صحتها. وقد عبر القرآن عن هذا المنهج بالاعتبار، وهو كما يقول ابن رشد: ليس شيئا أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه وهذا هو القياس [2].

خاتمة البحث

النتائج والتوصيات

أولاً: التوصيات:

1- أقترح وأوصي بتدريس مادة الإبداع المعرفي في القرآن الكريم، وأخص منها " طرق القرآن الكريم في الاستدلال " لمرحلة ما قبل التعليم الجامعي، أما في التعليم الجامعي فواجب على الأمة تدريس هذا العلم بتوسع وخاصة جانب الردود العلمية على شبهات الخصوم والمستشرقين.

2- عقد مسابقات محلية ودولية في هذا العلم لتشجيع النابغين فيه.

3- طبع مصاحف مزيلة ببعض المعلومات التي تزود القارئ بالحد الأدنى من هذا العلم.

4- إنشاء هيئة علمية عالمية للمسلمين تضم كبار العلماء وأقترح أن يكون اسمها " الهيئة العالمية للإبداع المعرفي والعلمي في القرآن الكريم "

5- تجريم التطاول على القرآن الكريم بعقوبات رادعة وخاصة في البلاد الإسلامية.

ثانياً: نتائج البحث:

---

[1] Robert Briffault, The making of Humanity, Londres, 1919, P: 191 .

[2] فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال: ابن رشد، مرجع سابق، ص:9.

1- القرآن الكريم معجزة أبدية خالدة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج المسلمين في كل زمان ومكان، إذ كل رسول مؤيد بمعجزة ومنهاج، فمعجزة موسى عليه السلام العصا ومنهاجه التوراة، ومعجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى بإذن الله، ومنهاجه الإنجيل، إلا الرسول صلى الله عليه وسلم كانت معجزته عين منهاجه، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه.

2- أن المعرفة والعلم في المنظور القرآني ليس تراكماً للمعارف والمعلومات، بل هي معرفة تربط الإنسان بالله تعالى، وتتمثل قيمة العلم في أنَّه يقود الى الإيمان، والإيمان في حقيقته مرتبط ارتباطا لازماً بالعمل ويقود إليه. وأن غاية المعرفة والعلم هي هداية الإنسان إلى الطريق القويم والصراط المستقيم الذي به تتحقق سعادته في الدنيا والآخرة، وبه يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه ويعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات، بموجب خلافته في الأرض، والطلب منه اعمارها بالحق، وإقامة الحق والعدل بين الناس

3- نتيجة لهذه الرؤية للمعرفة والعلم اهتم علماء المسلمين بالأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها العلماء وتضع ضوابط لأبحاثهم العلمية وتعاملهم مع أشياء هذا العالم والغاية من بحوثهم. فأبو بكر الرازي يتحدث في بعض كتبه الطبية والفلسفية عن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب ودارس الطب (فيجب ألا يتخذ الطب مجرد وسيلة لجمع المال، بل أن يتذكر أن أقرب الناس إلى الله هو أعلمهم وأعدلهم وأرأفهم بالناس).

4- تمثل المعرفة والعلم وفقاً للرؤية القرآنية وحدة متكاملة، فلا نجد ذلك التوتر الحاد الذي نجده اليوم- بتأثير الثقافة الغربية- بين علوم الدين وعلوم الدنيا، بل نجد تكاملا للمعرفة والعلوم، حيث لم يهمل جانب من جوانب المعرفة والعلم، أو الأدب والفن، والحرف والمهن. بل نجد اهتماماً بالعلوم الدينية المؤسسة على النقل والتواتر (علوم القرآن الكريم ,والحديث) ، والعلوم الإنسانية

كالفلسفة وعلوم الاجتماع والتاريخ والأدب واللغات وعلم النفس والأخلاق والسياسة، وكل فروع العلوم الطبيعية وعلوم ما بعد الطبيعة، والهندسة والفلك والرياضيات. فكثير من علماء المسلمين جمعوا بين دراسة العلوم الدينية والعلوم الكونية أو المادية. فالكندي مثلا يكتب في العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية، ويفسر القرآن والآيات الكونية مدعماً بها آراءه وما توصل إليه من حقائق. ونجد لتلميذه أبي يزيد البلخي مؤلفات لعبت دورا رئسا في الجغرافية وكونت مدرسة جغرافية، كما نجد له مؤلفات في علوم القرآن وتفسيره. ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك ابن رشد الذي ألف في الفلسفة والطب وكتب في الفقه الإسلامي والجمع بين الحكمة(الفلسفة) والشريعة. ولابن النفيس مؤلفات في الطب والسيرة وعلوم الحديث، وهكذا نجد أنه في اطار العلم الإسلامي تمثلت وحدة المعرفة الإنسانية.

5- ارتبطت المعرفة والعلم في الإسلام بالعمل، وقد ابتعد علماء المسلمين عن التفكير التجريدي والتأملات الفلسفية التي كانت سمة الفكر اليوناني ولم يدخلوا في مجادلات ومناظرات ومماحكات لفظية، بل عبروا عن كراهيتهم لكل علم لا يترتب عليه عمل نافع، قال مالك: لا أحب الكلام الا فيما تحته عمل". لهذا كان الاتجاه العام لعلماء المسلمين التجريبيين توجيه معارفهم لتشييد

ما ينفع كالمستشفيات الثابتة والميدانية، والصيدليات والطرق والجسور ووسائل البريد والمراصد الفلكية وصناعة السفن إضافة إلى وسائل الري وخزانات المياه وصناعة الورق والنسيج والمعادن المختلفة.

6-إنَّ أي مشروع نهضة علمية، في العالم العربي والإسلامي، لابد أن يستصحب هذه الرؤية القرآنية للمعرفة، التي تتسع لتوجهات الإنسان على اختلافها، والتي يلتقي فيها الوحي والعقل، والتجربة والإلهام، والنظر بالعمل، والتي تدفع الإنسان إلى السعي في الدنيا سيراً إلى الآخرة. ومن خلال تبني هذه الرؤية يمكن للعرب والمسلمين أن يسهموا، إن لم يكن في النهضة العلمية المعاصرة، فعلى الأقل في توجيه مسيرتها من أجل تجنيب البشرية الهلاك والدمار الذين توحي بهما مسيرة العلم بفلسفته المعاصرة.

المصادر والمراجع

1- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

2- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير): جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

3- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف

الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

4- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

5- التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 1932م.

6- التمهيد لدراسة الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرازق، الناشر: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

7- تهافت العلمانية: عماد الدين خليل، دار ابن كثير سنة النشر: 1429 – 2008م.

8 - الحسن بن الهيثم: بحوثه وكشوفه البصرية، من تأليف الأستاذ مصطفى نظيف سنة 1942-1943 القاهرة.

9- حول النظام المعرفي في القرآن الكريم: محمود عايد الرشدان ، الفكر الاسلامي المعاصر، مجلد 3، العدد 10 1997م.

10- خصائص التفكير العلمي بين تراث العرب وتراث الغربيين: عالم الفكر، مجلد 3 عدد 4، الكويت 1977.

11- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ هـ - ٢٠٤ هـ) ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي

وأولاد – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م.

12- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد

شاكر ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

13- شمس العرب تسطع على الغرب: د.زيغريد هونكه، دار صادر - بيروت (1964 (first published 1963).

14- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،

الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

15- طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها: أحمد محمد أحمد جلي.

16- الفلسفة الصوفية في الإسلام: عبد القادر محمود، دار الفكر العربي،1966.

17- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: ابن رشد، دار المعارف، القاهرة.

18- الفكر المنهجي عند المحدثين: همام عبد الرحيم سعيد، كتاب الأمة، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في
دولة قطر، أول محرم 1408 هـ- 1988م.

19- في تراثنا العربي الاسلامي: د. توفيق الطويل، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت 1985م.

20- القرآن والنظر العقلي: فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، ولاية فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية الطبعة: الأولى 1993.

21- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)،
الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة.

22- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ت
٨١٧ هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

23- مجلة إسلامِيَّة المعرفة: حول النظام المعرفي"، محمود الرشدان، المعهد العالي للفكر الإسلامي، واشنطن، العدد (10)،
1997.

24- مجموعة رسائل الحسن بن الهيثم: طبع حيدر آباد الدكن 1357، رسالة في ضوء القمر.

25- المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر
العربي.

26- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

27- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب المصرية 1364هـ.

28- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، ص ١٢٧ «بصر».

29- مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح: معجم مقاييس اللغة ابن فارس، أبو الحسين أحمد.، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة: 1399هـ 1979م.

30- مقدمة في التفسير: أبو القاسم الحسن بن محمد بن الفضل الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني،
الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

31- المقدمة: عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١

32- مناهج البحث عند مفكري الإسلام: علي سامي النشار، دار الفكر العربي، القاهرة.

33– مناهج البحث في العقيدة الاسلامية: أحمد محمد أحمد الجلي، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية، دبي، العدد:

الثامن والعشرون ذو القعدة 1425/ديسمبر 2004م.

34- مناهج الجدل في القرآن الكريم: زاهر عواض الألمعي، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان.

35- منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية و الكونية: جلال محمد موسى، تقديم وتحليل محمد علي

أبو ريان، دار الكتاب اللبناني; بيروت 1972، 1972م.

36- نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية: أحمد محمد حسين الدغشي، صادر عن المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، ودار الفكر.

37- Robert Briffault, The making of Humanity, Londres, 1919, P: 191